

المحاضرة الخامسة -5-

الإمبراطورية الرومانية في عهد دقلديانوس ثم قسطنطين

أ/ الإمبراطورية الرومانية في عهد دقلديانوس (284-305م):

ولد ديوكليس سنة 245م في إقليم دلماشيا (كرواتيا حاليا)، أهله نبوغه المبكر إلى تقلد وظائف هامة بالترج، حيث بدءها بكتاب ثم قنصل ثم قائد حرس بالقصر الإمبراطوري ليصبح في الأخير إمبراطورا لروما خلفا لمكسيميان سنة 284م.

وبتوليه حكم الإمبراطورية شرع في إصلاحات جذرية سعى من خلالها إلى النهوض بروما لتحقيق ثلاثة أهداف كبرى وهي: (1) تقوية جهاز الإمبراطورية (الحكم)، (2) إعادة تنظيم الجهاز الإداري، (3) تجديد الجيش وتقويته، ولذلك سهر على إرساء الأمن وفرض النظام داخل الولايات الرومانية، فقام بإخماد الثورات الداخلية وصد هجمات البرابرة على الحدود، كما هاجم الفرس سنة 297م واسترد منهم ولاية ما بين النهرين.

وقد شملت إصلاحات دقلديانوس ثلاثة ميادين:

1/ الإصلاحات الإدارية:

- * - اتخذ من نيقوميديا في آسيا الصغرى عاصمة جديدة للإمبراطورية بدلا من روما.
- * - قام بتقسيم الإمبراطورية إلى أربعة أقسام، قسما يحكما قائدان برتبة أغسطس، وقسما يحكما قائدان يلقبان ب: قيصر.
- * - قام بتقسيم الوحدات الأربعة السابقة إلى سبعة عشر وحدة صغيرة يحكم كل واحد منها نائب عن الحاكم العام، وتشمل كل واحدة عددا من الولايات بلغ عددها مائة ولاية وولاية (101)، ولكل ولاية ثلاث إدارات هامة (العدالة، المالية، الأملاك الخاصة بالأباطرة).

2/ الإصلاحات العسكرية:

- * - رفع دقلديانوس من أعداد الجنود وفتح أمامهم أبواب التدرج في مختلف الرتب.
- * - فرض إلزامية الخدمة العسكرية.
- * - أنشأ فرقة عسكرية متنقلة غير مرتبطة بجهة معينة وإنما تتحرك بأوامر الإمبراطور مباشرة.
- * - إعتد على الجنود من خارج شعوب الإمبراطورية خاصة الجرمان منهم.

3/ الإصلاحات الإقتصادية:

- * - قام دقلديانوس بعملية إحصاء واسعة للأراضي الزراعية بغرض تحديد قيمة الضرائب المفروضة على كل منها.
- * - أعطى الأوامر بصك عملة نقدية جديدة لتحل محل العملات القديمة والمزيفة سنة 296م.
- أصدر مرسوما يجبر الفلاحين وباقي أصحاب المهن الأخرى على وراثة مهنة غير مهنة أبيه، وذلك من أجل الحد من الهجرة للأراضي ومختلف المهن.
- * - غير أن ذلك لم يمنع من بروز عيوب في إصلاحاته أبرزها تزايد الضرائب بشكل رهيب، نتيجة ارتفاع التكاليف الحكومية التي كانت تتحمل نتائجها الطبقات البسيطة على عكس الطبقات العليا التي استفادت من الإعفاءات المالية.
- إعتزل دقلديانوس الكم سنة 305م بعد أن أصيب بعلل الشيوخوخة المبكرة.

2/ الإمبراطورية الرومانية في عهد قسطنطين (306-337م)

ولد قسطنطين بإقليم نيش (صربيا حاليا) حوالي 280م، ونشأ في حاشية الإمبراطور دقلديانوس في نيقوميديا، حيث إلتحق بالجيش الروماني في سن الخامسة عشر وترقى فيه، ليصبح إمبراطورا بعد وفاة والده قسطنطيوس الذي كان يشغل رتبة قيصر في بريطانيا وغالة.

واجه قسطنطين معارضة شديدة من طرف ليكينيوس في الشرق وماكسينتيوس في إيطاليا، وهو ما أدى إلى اندلاع حرب أهلية طاحنة، انتهى فصلها الأول بالقضاء على ماكسينتيوس سنة 312م وسيطرته على غرب الإمبراطورية الرومانية، وعقده لصلح مع ليكينيوس غير أنه لم يدم طويلا بسبب اندلاع الحرب بينهما سنة 316م إلى غاية سنة 324 وهو تاريخ انتصار قسطنطين وانفراده بحكم الإمبراطورية.

وكسابقه دقلديانوس قام قسطنطين بعدد من الإصلاحات مست جوانب عدة من الحياة بالإمبراطورية الرومانية.

إصلاحات قسطنطين:

* - أقر قسطنطين مبدأ الحكم الوراثي بدل الكفاءة من أجل التخلص من النزاعات السابقة على منصب الإمبراطور.

* - استكمل قسطنطين إصلاحات دقلديانوس فاستحدث عددا من الوظائف الإدارية بغرض تسيير أعمال الإمبراطورية.

* - عمل قسطنطين على إنقاص أعداد الأفراد بالفرق العسكرية الجواله، وفتح المجال أمام العناصر الجرمانية للإنخراط بالجيش كجنود نظاميين.

* - زاد قسطنطين من عدد الضرائب كما هو حال الضرائب النقدية التي صارت إلى جانب الضرائب العينية المفروضة منذ عهد دقلديانوس.

* - جعل الحرف وراثية كي لا يفر أصحابها من كثرة الضرائب المفروضة عليهم، والحال نفسها مع الفلاحين.

* - قام قسطنطين بتأسيس عاصمة جديدة لحكمه مكان بيزنطة القديمة، حيث أعطى الأوامر بالشروع في بناءها في نوفمبر سنة 324م على ضفاف مضيق البوسفور، واشتهر ميناءها باسم القرن الذهبي (يشبه القرن في شكله أما الذهبي فهو تعبير عن الثروات المتدفقة نحوه)، وعرفت تلك العاصمة باسم القسطنطينية التي حلت محل العاصمة روما في القوة والمهابة، وضرب بها المثل في الحصانة والرقى الحضاري مقارنة بمدن وعواصم العصور الوسطى آنذاك.

* - إصداره لمرسوم ميلان سنة 313م الذي يقضي بحرية اختيار الديانة ورد الحقوق الدينية للمسيحيين، وإعادة ما تمت مصادرته من أراضي وأملاك الكنيسة.